سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٣٥)



المنهجية في القراءة



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ





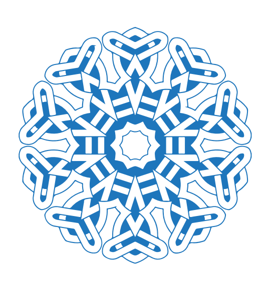
00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٣٥)





لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا، إلى يوم الدين.

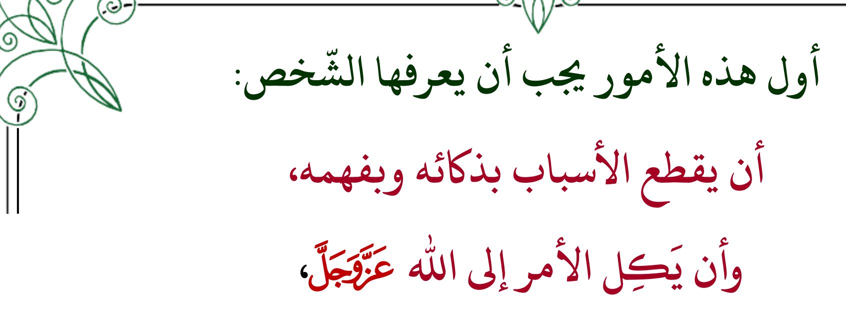
ثُمَّ أَمَّا بعدُ:

-أيّها الإخوة الأكارم- إنَّ حديثنا في هذا الضّحى هو حديثٌ عن الكتب، والحديث عن الكتب حديثٌ شيِّقٌ محبوبٌ لطلبة العلم، ومن العجيب أنَّ القراءة في الكتب والنَّظر فيها يتقاسم كثيرٌ من النَّاس على اختلاف تخصّصاتهم ورغباتهم وميولهم محبَّةً، ولذا ما زال الشّعراء يتغنّون بالكتب وحُبِّها ومُجالستها، ويستغنون بها عن مجالسة الآدميين، وليس المقام مقام حديثٍ عن الكتب وأهمّية قراءتها فإنّي لا أظنّ أحدًا يدخل هذه المكتبة إلّا ويعرف الكتب وأهميتها، وكيف أنَّها وسيلةٌ من أعظم الوسائل لتحصيل العلم سواءً كان العلم من العلوم الشّرعية أو كان العلم من غيرها من العلوم، أمَّا العلوم الشرعية فما زال علماء الأصول والفقه، علماء الأصول والحديث يعدون الوجادة طريقًا من طُرق التّلقي، والوِجادة هي هذه الكتب التي نجد فيها العلوم، ونجد فيها الكلام المُبيِّن لكلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذا فإنَّ حديثنا في هذه الضّحى في هذه الدَّقائق المعدودة ليس حديثًا عن الكتاب نفسه، إذ الكتاب حديثه شيّقٌ معروفٌ وإنَّما التَّحديث فيه تشويقٌ للقراءة، بَيْد أني سأتحدّث عن أمرٍ آخر، إذ لكلّ شيء زغل، ولكلّ شيء يحبّه الآدميُّ ربّما ما يقابله من الضّرر الَّذي يقع على نفسه، وقارئ الكتب رُبَّما يُريد الصّواب فيقع في الخطأ، وربّما يُريد الهداية فيقع في ضدِّها، وهذا الأمر أشار له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أكثر من حديث فمن

ذلك: ما ثبت من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**هَلَاكُ أُمَّتِي فِي ثِنْتَيْنِ**» وذكر أحدهما فقال: «**فِي الكِتَابِ**»، كيف أن هلاك أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون في الكتاب؟ فلمّا سُئل النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك كيف يكون هلاك أمته في الكتاب قال: «**يَقْرَؤُونَ كِتَابَ اللهِ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ**» فحينئذ يُضل المرء ويُضلّ غيره. إذا كان هذا في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ الذي لا يأتيه الباطل ولا يقربُه ولا يتطرّق إليه الوهم كان سببا لإضلال بعض النّاس فكذلك غيره من كتابات النّاس الأخرى من سائر العلوم الشّرعية وغيرها.

إذن: ليس كلّ راغب في الحقّ يصل إليه، وليس كلّ مُسترشدٍ يُهدى إليه، وإنَّما التوفيق بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ولمَّا كانت المحاضرة قصيرة الأمد فإنّي سأشير لبعض المسائل إشارةً في «**الْمَنْهَجِيَة فِي قِرَاءةِ الْكِتَاب**»، **وأعني بالكتاب**: كلّ كتابٍ غير كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنّ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ فهو من الحديث الخاصّ به والنظر والقواعد التي يُفرد بها دونما سواها.

إذن: سأذكر بعضًا من الأمور والقواعد التي ذكرها أهل العلم لم أراد أن يقرأ كتابًا لكي يفهم الفهم الصّحيح، ولا يكون فهمه خطأً ولا يكون فهمه سببًا لزيغهِ وضلاله.



أول هذه الأمور يجب أن يعرفها الشّخص:

أن يقطع الأسباب بذكائه وبفهمه،

وأن يَكِل الأمر إلى الله عَزَّوَجَلَّ،

في «مسلم» أنَّ النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان إذا قام الليل قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» دعا بعد ذلك فقال: «اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، من أهمِّ الأمور أن يعرف المرء أنّه قاصرٌ بنفسه، ضعيفٌ بذكائه، قويٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، فيُكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ ومن سؤاله ومن طلبه أن يصوِّب له فهمه وأن ينفعه بما علمه، وقد كان من دعاء النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي يُكثر منه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ» وبينهما تلازم، فإنّ العلم الذي ينفع هو الذي يجعل القلب يخشع، جاء من حديث ابن مسعود مرفوعًا وجاء موقوفا «إنّما العلم الخشية».

إذن: أول مسألة أن تكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ وسؤاله التوفيق والسّداد والإعانة، وقد كان بعض أهل العلم إذا أَشكلت عليهم مسألة أكثر من دعاء الله فقال: «اللهم يا معلم آدم علمني ويا مفهم سليمان فهمني»، فالله هو المعلّم وهو المفهِّم يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هُدي أقوامٌ وأُضلّ آخرون مع أنّ الكتاب الذي أرشدهم واحد.

إذن: **الأمر الأول** أن تلتجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء، وأن تقطع العلائق إلّا منه في الهداية جَلَّوَعَلَا هذه تسمّى هداية التوفيق فالله عَزَّوَجَلَّ هو الموفق.



الأمر الثاني:

أن يعلم المرء أنّ قراءة الكتاب وحده لا تُكسب العلم،

أنا لم أقل أنّ قراءة الكتاب لا تُكسب العلم بل تُكسب العلم، لكن الاكتفاء بالكتاب وحده لا يُكسب العلم، وهذا من خصائص العلوم الشّرعية فإنّ العلوم الشّرعية لا تُأخذ من الكُتب وحدها بل لا بُدَّ أن يجتمع مع الكتاب الأخذ عن الأشياخ، **قال عبد الله بن المبارك** نقل ذلك **مسلم** في «مقدّمة صحيحه»: «الإسناد من الدّين، فإن قيل عن من بقي» **أي**: حَارَ ولم يستطع أن يجيب»، وجاء أنّ **عبد الله بن عبّاس** قال: «العلم في أكابركم»، فما زال المرء يأخذ العلم عن أكابر أهل العلم المعروفين به تسمعون ويسمع منكم وهكذا فإن هذا من خصائص هذا الدِّين، القرآن إنّما نُقل لنا بالسّماع مع أنَّه مكتوب نسترشد به للمسموع ولذلك جاء في وصف أمّة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما نُقل عن **عيسى ابن مريم** قال: «أناجيلها في صدورها»، فنحن نأخذ العلم بالنّقل لا بمجرّد الكتب، والكتب معينة في الفهم، معينة في الاستيعاب في التّكرار وفي غير ذلك من الأمور.

إذن: هذه المسألة مهمّة أنّه من أخذ الكتاب فقط واقتصر عليه فإنَّه في كثير من الأحيان لا يُوفّق كمال التَّوفيق، ولذا من الأمثال السَّائرة عند كثيرٍ من الأوائل (أنَّ من كان شيخه كتابه كان خطئه أكثر من صوابه) لأن من يقرأ بالكتاب رُبما تُشكل عليه بعض المعاني فلا يجد من يصحّحها له، ويُعجب بنفسه في اطلاعه ويعجب بنفسه بمعرفته، فحينئذ يكون هلاكه من حيث لا يشعر، ولذا فإنَّ من أهمّ الأمور في العلم الشّرعي أخذ العلم عن أهله،

وثق أنَّ العلم لا ينقطع إلى قيام الساعة، لن ينقطع من المشايخ والمنسوبين للفضل إلى قيام الساعة بل على العكس، ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّه في آخر الزّمان إنّما يكون هلاك النّاس بسبب موت علمائهم، ذكر بعض الشُّراح وأظنّه الشوكاني عند قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّمَا يَنْتَزِعُهُ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا مَاتَ الْعُلَمَاءُ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»، قال **أهل العلم**: «فبيّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ اتخاذ الرؤوس الجُهّال لفقدهم الأخذ عن العلماء وهو السلسلة في الإسناد التّلقي روايةً وفهمًا، روايةً ودِراية، نقلًا وفهمًا، وجميع المعاني يكون فيها النّقل والاتصال»، ولكن في المقابل ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث آخر أنَّ الكتب ستبقى إلى قيام السّاعة، هذه الكتب لن تُرفع بل ستكثر الكتب، فأمَّا القرآن فإنه لن يرفع إلى قيام السّاعة سيبقى عند النّاس، والكتب ستبقى بل ستنتشر، وقد جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إِنّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَفْشُوا القَلَمْ**»، قال **بعض المتأخرين** من الشّرّاح في القرن الماضي: «إنّ فشوّ القلم يحتمل معنيين فشو القلم **أي**: تكثر الكتابة فكلٌ يعرف القراءة والكتابة وفشو القلم أحيانا بكثرة القلم حينما كان القلم لا يوجد في البيت إلّا واحد أصبح المرء في جيبه ثلاثة»، الأمر يحتمل ولا أدري لكن عموما هذه قالها الشّرّاح وهي محتملة من حيث اللفظ والمعاني.

إذن: قصدي المهم هنا عندنا في قضية أنّ الكتب لا يُكتفى بها بل لا بُدّ من الأخذ عن الأشياخ وكثيرٌ من النّاس يقرأ في كتاب ولا يفهم ما فيه ولذا يأتي بالعجائب، والعجائب تحتمل جميع الاتجاهات، إذ كلا طرفي الغلو ذميم، أضرب لكم مثالا أورده أحد العلماء في

كتابه الموجود هنا في المكتبة فقد ذكر الشّيخ **عبد القادر بن بدران** من علماء **دمشق** أنّه كان يقرأ على شخصٍ وهذا الشّخص كان يُقرأ النَّاس كبير سن لكنه لم يكن قد أخذ العلم عن أهله قال: «فلمّا وصلنا إلى كتاب «المدبّر» سأله رجلٌ من الحضور فقال: يا شيخ ما معنى المدبّر؟ المدبّر عند أهل العلم هو الذي يعلق سيّده عتقه على وفاته فيقول: إذا متّ ففلان حر فيعتق عن دُبر فقال هذا الشيخ: المدبر كذا وكذا ذكر شيئًا من أبعد ما يكون قال: فعرفت أنّه ليس من أهل العلم فتركت مجالسته.

إذن: الطّلاب أحيانا يقرأ الكلام فيفهمه خطأً ما لم يكن هناك شيخ يصوّب العبارة فإنّه حينئذ يأتي الفهم الخطأ، ويأتي غريب المسائل.



الأمر الثالث في قضيّة التّعامل مع الكتب:

أنّ التّعامل مع الكتب وإن كان يُكسب المرء علمًا في المسألة لكنّه لا يكسبه ملكة الفتوى،

إذ هناك فرقٌ بين الفتوى وبين المعلوم، فليس كل معلوم ومحفوظ يُفتى به، وهذه ركّزت عليها مع أنّها داخلة في السّابقة لأنَّ كثيرا من غرائب الفتاوى في زماننا هذا إنَّما مدخلها أنَّ بعضًا من النَّاس يجد في الكتب كلامًا ثُمّ يظنّ أنَّ هذا الكلام وإن ترجح إليه في بداهة النَّظر وابتدائه يظنّه هو الذي يُفتى به وهذا خطأ، فإنَّ الفتوى لها مسلك وطريقة مختلفة تماما عن طريقة المحفوظ والعلم، ذكر ابن العابدين فالفقيه الحنفي المشهور في القرن الثالث عشر في «شرح رسم المُفتي» قال: «إنّ الرّجل ربما يكون حافظا لكتب المذهب لكتب الظاهر رواية السّتة ثمّ يدخل بلدًا لا يحلُّ له أن يُفتيَ فيه لأن الفتوى فقط ليست مبنية على المعلوم والمحفوظ، وإنّما مبنية على قواعد أخرى منها: معرفة العُرف، معرفة المآلات، وغير ذلك من الأمور المبنيّة على هذه الأمور» ولذا فإنّ كثيرًا من غرائب هذا الزّمان أنّ أُناسًا يقرأون في كتب ثمّ يطبقون هذه الأشياء، إنَّ بعض ما في الكتب من المسائل قد يوردها العلماء من باب الحجاج لا من باب التّبنِّي أو يجعلونه من باب الإمكان لا من باب الفتوى، **معنى الإمكان** **أي**: أنّه يمكن أن يُصار إليه في أحوال متعددة، أضرب لكم مثالا في ذهني حظرني الآن: بعض النّاس يرى أنَّ بعض أهل العلم قال: «إنّ ما جاء في قصّة رضاع الكبير معتبرة» فقال: نسب لهذا الرّجل وهو الشّيخ تقي الدِّين أنّه يرى أنّ رضاع

الكبير ينشر الحرمة مطلقا وهذا غير صحيح بل الشّيخ يشدّد فيقول: «إنّ الرّضاع لا ينشر الحُرمة إلَّا إذا كان قبل الفطام، فلو أنّ امرأةً فطّمت وليدها وهو ابن الستة أشهر ثم ارتضع ذلك الوليد بعد السّتة من امرأة أخرى فلا ينشر الحّرمة»، فجعل الرّضاع المحرم متعلق بالفطام ولم يجعله متعلقًا بالسّنتين فهو أقل من سنتين، وإنّما قال هذا من باب الإمكان مثل قصة سالم مولى أبي حذيفة وهكذا.

فالمقصود أنَّ بعض النَّاس عندما يقرأ في كتاب ثم ينزّله تأتي بغرائب الأمور وعجائبها، ولولا أنَّ المقام ليس مقام تتبع لغرائب الفتاوى وغرائب التَّنزيلات لرأيت شيئًا غريبًا.

إذن: **الأمر الثالث المهم** أن تعلم أنّه ليس كل مقروء يُفتى به أو يُتكلم به، وقد ذكر يحي بن معين كلمةً جميلةً فقال: «ليس كلّ ما سمعت تكتب، وليس كل ما تكتب تُحدّث به».

إذن: المعيار للتَّفريق بين ما تتكلم به وما تُفتي به هذه تُعرف بالمجالسة وبالمذاكرة وبالقواعد التي أوردها العلماء في الفتوى.

꧁ ❖ ꧂



الأمر الرابع وهو أمرٌ مهم:

إنّ من أهمّ الأمور في التّعامل مع الكتب معرفة اللّغة وأعني باللغة أمرين:

الأمر الأول: اللّغة بالمعنى العام ولذا فإنّ العلوم الشّرعية إنّما كُتبت بالعربية ومن لم يُحسن العربية فإنّه لا يمكن أن ينتفع من العلوم الشَّرعية، ولمَّا بدأ يدخل بعض من لا يُحسن العربية فيقرأ هذه الكتب ويُترجمها عن طريق التَّرجمة الآلية مرّ علي ويسألني بعض النّاس في الإيميل غرائب الأشياء يقرأ كتب الفقه ويترجمها الترجمة الآلية شيء غريب جدًا **أضرب لكم مثالًا قبل البارح في مسألةٍ فقهية:** في أحد البلدان قرأ رجلٌ أنّ العصابة لا يُشترط لها أن تكون ملبوسة على طهارة في المسح، ثمّ قرأ بعد ذلك أنّ الخمار يأخذ حكم العمائم في كلِّ ما سبق فظنَّ أنَّ العصابة عند الفقهاء هي العِمامة فأصبح يقول: إنَّ المرأة إذا لبست خمارًا فإنَّها تمسح عليه وإن لم تكن لبسته على طهارة، وهذا غير صحيح الفقهاء يفرّقون بين العصابة وبين العِمامة، **فالعصابة**: إنما تكون بجرحٍ ونحوٍ فهي ملحقة بالجوارح، **وأما العِمامة**: فإنّها لبس لا يُشترط لها الحاجة والعصابة لا توضع إلّا لحاجة.

أنا قصدي من هذا أنّ معرفة المصطلحات عموما اللغوية أو المصطلحات المتعلّقة بالفن الذي تقرأ فيه من أهمّ الأمور للفهم الصحيح وكلّ علم من العلوم ألَّف العلماء مدخلًا للغتها، فأصول الفقه مثلا يعقدون في أوائل الكتب المصنّفة فيه أبوابًا لمعرفة المصطلحات، فيعرفون لك كلّ المصطلحات الواردة في الأصول وفي الفقه، ومثله يُقال

أيضا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي المداخل لعلوم السّنّة وغيرها من العلوم.

إذن: المصطلح هذا معرفته مهم جدًا ودلالته من أهم الأمور لكي يكون الفهم فهمًا صحيحًا وإلّا فإنّ المرء سيأتي بغرائب الأمور وعجائبها، **من أمثلة ذلك:** بعض النّاس يظنّ أنّ العلماء إذا قالوا إن فلانا جوّد الإسناد **أي:** قال إنَّ إسناده جيد وليس ذلك كذلك فالمتأخرون إذا قالوا فلانًا جوّد إسناده **أي:** حكم عليه بأنّ إسناده جيّد وهو أحد صيغ التّصحيح والتّقويم للحديث بينما المتقدمون إذا قالوا جوّد إسناده فهو قدحٌ فيه **بمعنى:** أنّ إسناده ضعيف ثمّ إنّ الرّاوي جوّده **بمعنى:** أنه غيّر فيه أو دلّس فيه فأصبح ظاهره إسنادا جيّدًا فحينئذ كان استعمالهم لهذا المصطلح في الحقيقة إنَّما هو من باب توهين الحديث، وقد مرّ عليّ في بعض الرسائل من صحّح حديثا بناء على أنّ يحي بن معين قال: فلان جوّد هذا الحديث وهذا غريب.

إذن: معرفة مصطلحات الفن ولغة القوم واللّغة العربية شرطٌ للانتفاع بالعلوم الشَّرعية أو بكتب العلوم الشّرعية حتَّى تعرفون كلام علماء الأصول أن من شرط الاجتهاد أن يكون المرء عالمًا باللّغة ولا أقصد بالمعرفة باللغة أن يعرف تفاصيلها وإنّما يعرف المعاني الكلّية فيها، ويعرف كثيرا من الأشياء التي تكون سببًا في اختلاف الفُهوم.

الأمر الخامس من القواعد المهمّة للتّعامل مع الكتب:

لكي يكون الفهم صحيحًا وهي قاعدة مهمّة وهو:

التّدرّج في العلوم والقراءة.

إنّ بعض النّاس يُعجب بنفسه أو لا يفوق لمن يدلّه الدلالة الصّحيحة للقراءة فيبدأ بكبرى الكتب، ويبدأ بمطولات الكتب ويكون في الحقيقة مثله كمثل المنبت لا ظهرًا أبقى ولا أرض قطع لا هو الذي انتفع بالكتاب ولا هو الذي استفاد من وقته، ولذا جاء عن ابن عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «الرّبانيون الذّين يعلمون النّاس صغار العلم قبل كباره»، فمعرفة صغار العلم يُبنى عليه معرفة الكبار وهكذا، وكثيرٌ من الإخوان ربما بدأ بقراءة بعض شروح الأحاديث وهو لا يعرف ما معنى الباب ما المراد بالجَعالة؟ ما الفرق بين الجعالة والإجارة؟، ما الفرق بين أنواع الإجارات؟، ما الفرق بين ربا القروض وربا الدّيون؟ بين ربى القروض وبين ربى الأموال عدم التّفريق هذا يجعل الشّخص يفهم إمّا فهمًا خاطئًا أو يقرأ شيئا بمثابة الطلاسم وعلى أقلّ الأحوال لا ينتفع بالكتاب إلاّ بعُشر عُشره، ولذا فإنّ التّدرج في العلم بأن يبدأ بصغار العلم ثمّ ينتقل إلى كباره هذه هي التَّوفيق، ولا يوّفق الشّخص لهذه الطريقة إلّا إذا وُفّق لمن يأخذ بيده، جاء عند يعقوب بن سفيان في «تاريخه» أنّه قال: أو نقل بإسناده عن أيوب السختياني شيخ الإمام مالك أنّه قال: «إنّ من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على الحدث -**أي**: الشّاب- والأعجمي إذا أسلم أن يُوفّقا لشيخ من السُنّة» فيأخذ بيده ويدلّه على الصّواب ويُبعده عن الخطأ، وهذه مسألة مهمّة جدًا، ولذا فإن معرفة ما

الذي يُبدئ فيه للقراءات وما الذّي يتدرّج به هذه مسألة مهمّة، ولا يبدأ صغير العلم بكُبريات الكتب وقد أشار لذلك الأئمة على سبيل المثال جاء الإمام أحمد قال له بعض أصحابه: «الرَّجل يكون عنده الأيتام يُقرِأُهم الحديث قال: لا بل يحفِّظهم القرآن ثمّ يُسمعهم الحديث» التّدرج في العلوم وفي أجزاء العلم الواحد من الأمور المهمة لكي يُبنى العلم بعضه على بعض، وألا يقفز الرّجل قفزًا عاليًا ليس معنى ذلك أنّك تطيل في المقدّمات فإنَّ بعض النّاس يُؤتى ذكاءً فيستطيع أن يجلس في المقدّمات فترة قليلة ثمّ ينتقل بعدها، **معنى ذلك:** لا بدّ أن تبدأ بالدّرجات الأُول وهذا توفيق من الله عَزَّوَجَلَّ للعبد ولا يعرف العبد أنّه استطاع الرُّقي إلّا بشهادة أشياخه له **كما قال الإمام مالك إمام دار الهجرة:** «ما أفتيت حتّى شهد لي سبعون معمّمًا إنّي أهلٌ للفتوى» **قال ابن ناصر الدّين:** «ولم يكن يتعمّم في ذلك الزّمان إلا فقيه»، بعض النّاس يعجب بنفسه يقول أنا أصبحت كأبي حنيفة ومالك ابن الشّافعي وأحمد هم رجال وأحمد رجال وهذا موجود وليس غريبًا بل كثير في زماننا **يعني:** لا تستعجب لا أقول لك بالعشرات بل بالمئات والأُلوف يقول: «أنا وهؤلاء سواسية» ربّما بعضهم زاد فيقول: أنا وأصحاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سواسية في الفهم فنقول هذا مصيبة من يشهد المرء إنّما يشهد له أهل الفضل بل ثق أن المرء كلّما كان في العلم متواضعًا كلما كان علامة زيادة علم عنده، فالشّخص كلّما زاد علمه زادت إنابته وخشيته لله عَزَّوَجَلَّ ومعرفته بجهل نفسه، ومن أُعجب بنفسه فإنّه في الحقيقة جاهل ولذلك كلمة الإمام محمد بن إدريس الشّافعي- رحمة الله عليه - الإمام الشّافعي له كلمة جميلة يقول: «العلم أربعة أرباع من تعلّم الربع الأول ظنّ أنّه أعلم النّاس -كما هو حال كثير من النّاس- والثّاني إذا تعلّم الربع الثّاني علم أنّه قد فات من العلم شيء، والربع الثّالث إذا

تعلّمه علم أن ما فاته أكثر بكثير مما أدرك وحصّــل قال وأمّا الربع الرّابع فلا يتحصّــل عليه أحد لكثرته وطوله وهو أطول الأرباع الأربع».

إذن: من الأمور المهمّة في القراءة في الكتب وهو قضّــية التّدرج فيه: لأنّ من لم يتدرّج فإنّه سيأتي بغرائب الفُهوم ويأتي بعجائب الاستنباطات.



الأمر السادس:

من القواعد المتعلّقة بالكتب والتّعامل معها:

وهو أنّ الكتب ليس كلّ كتابٍ يُقرأ،

بعض النّاس يكون عنده السياسة لتكن عندك الحرِّية في القراءة نقول أمّا الدّين فإنّه لا بدّ أن يُعرف عمن يُأخذ لا يُأخذ الدين لا عن أشياخ ولا عن أي كتاب بل لا بدّ أن يُأخذ الدّين من أهله ومن عُرف به، فلا يُأخذ من الحديث إلَّا ما صح ومن الفقه ما ضُبط بقواعد أهل العلم ولذا فإنَّ أهل العلم حرَّموا رواية الحديث الموضوع والضّعيف إلا على سبيل التّبيين كما روينا في الحديث أنّ النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبين**»، وقد ثبت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ كَذَبَ عَلِيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، في الفقه كذلك نصَّ العلماء وألَّف فيها ابن رجب رسالة كاملة أنّه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربع لأنَّ المذاهب الأربعة المتبوعة مذهب أبي حنيفة ومالك والشّافعي وأحمد حُررت أصولها ودُققت مسائلها وبُنيت الفروع فيها على أصول محررة تتابع ألوفٌ من العلماء على المسألة كلّ مسألة منها تحريرًا وتقييدا وذكر قيود ومحترزاتٍ وتدليلا لها بخلاف المدارس الأخرى فإنَّ المدارس الأخرى ربّما لا يساغ لها إلا أحادٌ لا يصلون إلى العشرة فحينئذٍ لا تكون محرّرةٌ من جهة، ومن جهة أخرى كما قال ابن رجب: أنّ كل خلافٍ كان عند السلف فكلّه دخل في المذاهب الأربعة استقراءً كلّيا ما من قولٍ عند السّلف له نظرٌ صحيح واعتبار إلَّا وقد دخل في المذاهب الأربعة. ولذا فإن

هناك من الخطأ أن بعض الأفاضـــل قد ينظر في كلام بعض أهل العلم من المتقدّمين من التّابعين فينظر في كتب الآثار فيفهمه فهمًا غريبًا ثم بعد ذلك يظن يقول هذا قال به العلماء هذا غير صـــحيح فإنَّ فهمهم لا بدّ أن يذكر في قيود العلماء، والأمثلة على ذلك في زماننا بالعشـــرات، **لكن أضـــرب لكم مثالًا**: جاء عن بعض أهل العلم أنّه أجاز للرّجل أن يلبس الخاتم من الذّهب والآثار فيه موجودة في مصـــنّف أبي شـــيبة قال بعض المعاصـــرين وألّف فيها رســـالة أنَّه يجوز للرجل أن يلبس الذّهب مطلقا لما نُقل عن فلان وفلان ومن ســـمات أهل زماننا أنّهم يختارون من الأقوال أي قول ما دام قد قال به أحد، ثمّ بدأ تطور هذه الفكرة ويقولون يجوز أن نحدث قول لم يقل به أحد وهذا المســـلك الجديد بدأ يخرج في خلال خمسين السنة الماضية، فنقول: إنَّ ما جاء عن أولئك المتقدمين من أهل العلم مقيد بكلام أهل العلم فقالوا: «إنهم يرون جواز الذهب اليســـير للحاجة لا مطلق الذهب» **لأنَّ الحاجة نوعان:**

- حاجة للعين.
- وحاجة للصفة.

۞ **فالحاجة للعين**: هي الضرورة كالسن والأنف.

۞ **والحاجة للصفة**: هذه يسميها الفقهاء بالحاجة فأحيانا قد يكون ثبوت الفص لابد أن يكون له معدن قوي يمسك به فلذا فيجعل محل الفص من الذهب ليمسكه لا أن جميع الخاتم أو أن جميع الحلي بالذهب وهذا معروف، أين عرفنا ذلك؟ من كلام آخر لكن لما كانت أول شيء مذاهب هذه العلماء لأنّها تُنقل عنهم في سطر أو في نصف سطر غير محرّرة

قال أهل العلم: لا يأخذ منها إلا من عرف الفقه كلّه من جهة، ومن جهةٍ أخرى أنّ المذاهب الأخرى كلّها أخذت على هذا المذهب، والأمثلة فيها بالمئات فقط أردت بهذا المثال هناك رسـالة طُبعت مؤخرا في إجازة تحلّي الرجل بالذهب، وأن يفعل به ما شـاء بناءً على أثرٍ وجده في بعض كتب أهل العلم.

إذن: أريدك أن تعلم أنّ هذه المسألة الكلّية أنّ من قرأ في كتاب ليس كلّ كتاب يقرأ بل إنَّه قد نُهي عن قراءة الكتب لمعايير منها ما ذكرت لك، ومنها إذا كان مؤلفه مجهولا وهذا ما سأتكلم عنه في القاعدة التي بعدها، ولذا -أيّها الأفاضل- احذر احذر من القراءة في كتب أهل البدع، فإنّ القراءة في كتب البدع [..] وقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يدخل عليه الرّجل ويقول أريد أن أسألك سؤالا فيقول: «لا أسمع منك شيئًا قال: اسمع منّي كلمة فيسدّ مالك أذنيه ويقول: ولا نسمع كلمة ثم قال: أو كلّما جاءنا رجل تركنا ديننا لأجله».

ثق أنّ من قرأ في بعض الكتب التي تكون فيها شُبه ويكون فيها غرائب لربما دخلت الشّبه وما خرجت، جاء أنَّ بعض المتقدّمين ألّف كتابًا في الرّد على الذين يقولون: إنّا الكواكب يجوز **يعني:** يشرع عبادتها فجمع أدلّتهم ثم أراد الرّد عليها فما أحسن الرد فقالوا إنّه جمع أدلة من قال بعبادة الكواكب ولم يحسن ردّه، وأحد المدرّسين كان يشرح للطلاب بعض آراء بعض أهل الأهواء ثم لمّا انتهى من الشّرح أراد الردّ عليها فقام أحد الطُّلاب فقال يا شيخ: لقد دخلت الشّبهة وما خرجت، ولذلك فإنَّ القراءة في الكتب التي على غير هدى قد توقع في النّفس الشّبهة ولا تخرج مثل ما قال الأول:

أَتَـانِي هَوَاهَـا قَبْـلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَـادَفَ قَـلْبًـا خَـاوِيًـا فَـتَـمَـكَّـنَـا

دائمَا القلب أبيض فإذا جاءته أول شــبهة بقيت فيه ولم ينســها، ولذا نهى الأئمة عند القراءة في الأحاديث الموضوعة وقيل لأحمد: الرّجل يجد الأحاديث الرديّة قال: «يخرقه» يشقّ الكتاب ولو كان لغيره ما دام فيه أحاديث موضوعة تُخرّق ولا تُقرأ ولا تسمع ومثله ما يتعلّق بعلم المنطق فقد ذكر صاحب «نظم السّلم في علم المنطق» فقال:

وابن الصــلاح والنـواوي حـرما | وقال قـوم ينبغي أن يُعلما
والقَولة المشــهورة الصّحيحه | جوازه لكامل القريحه
محصَــنٌ بالســنّة والكتاب | ليهتدي به إلى الصّواب

(**حَرَّمَا**) **أي**: النووي وابن الصلاح حرَّما النّظر والتّعلم للمنطق.

(**وقال قوم ينبغي أن يُعلما**) أيضا هذا غير صحيح.

هذا هو رأيهم لكن يقولون: لا يتعلمه إلا من انتفع به إما برد أو فائدة بعد أن يتمكن من الكتاب والسّنة.

إذن: المقصود أنّ بعض النّاس قد يُعجب بنفسه فيريد أن يقرأ بعض الشبه فتقع.

بما أنّ الإخوان أرادوا أن يكون الحديث عن بعض الأمثلة في الغلو فســأذكر مثالا في هذا الزّمان أصبح عدد الذّين يقرؤون الذي يُكتب يُنشر في كلّ مكان أيّ كتابٍ تُريده تستطيع الوصــول إليه بجيبك هذا فيه جهاز يحظر لك أي كتابٍ شــئت ولو كان هذا الكتاب ألّفه رجلٌ في أقصى المشرق أو المغرب ما دام قد أنزله على هذه الشّبكة، جاء رجلٌ ألف كتابا في هذا الكتاب تكفير المســلمين أئمتهم وأفرادهم وفيه من الحذف على غرائب الأمور

وعجائبها الشـــيء الكثير، قال رجل: فقلت لصــاحب هذا الكتاب من مؤلّف هذا الكتاب الذي نشــره؟ من مؤلف هذا الكتاب؟ قال: ليس عليك من مؤلفه إنّما اقرأه وناقشــني، هو يريدك أن تقرأ أولا في الشّــبهة حتّى إذا دخلت الشّــبهة في نفســك أمكن بعد ذلك تثبيتها ولذلك دائما لا يُقرأ أيّ كتاب لا في الفقه ولا في الحديث ولا في أمور الاعتقاد ولا في غيرها من الأمور فإنها قد توقع في النّفس شبهة فلا تخرج، ولذا كما أنّنا نختار الشّيوخ الذين نقرأ عليهم فإننا نختار الكتب التي نقرأ فيها فليس كل كتاب يُقرأ وهذا أصــلٌ مهمٌ جدًا وبعض النّاس كل كتاب يقع في يده يقرأ فيه وهنا تأتي الآفّة.





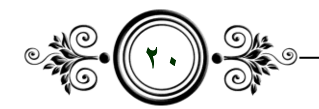
القاعدة التي بعدها:

أنّنا نعرف الكتب بمؤلفيها وهذا معروف،

فإنّ المجاهيل لا يأخذ منهم علم، المجهول لا يأخذ منه العلم البتة، هناك كتب في الفقه مثلا جُهل مؤلفوها فلم يُعتدّ بها فعلى سبيل المثال كتاب «القنية» للزاهدي الحنفي بعض الحنفية قالوا: «إنّ هذا الكتاب ليس بمعتمد» قالوا: لأن مؤلفه لا يُعرف وإن عرفه بعض فنسبه للزّاهدي، عند الحنابلة مثلا عندهم كتاب اسمه «الرّوضة الفقهية» هذا الكتاب ينقل منه الكثير وعنده بعض الغرائب والتّفردات كلّ مسألة تفرّد بها صاحب «الرّوضة» غير معتد بها السبب أنّ «الروضة الفقهية» لا يُعرف مؤلفها.

إذن: من الأمور المهمة وهذا في العلوم الشّرعية لا بُدّ من تسمية رجالكم كما جاء أنّهم كانوا يأخذون العلم في عهد الصّحابة فلمّا وقعت الأهواء قيل لهم: سمّو رجالكم، لا نأخذ العلم عن المجاهيل ولا نأخذ العلم عمن لم يُعرف به فلا بُدّ أن يكون مؤلف الكتاب معروفا بالعلم منسوبًا للسنّة ليس ذا غرائب فيها، ولذا فإنَّ معرفة الرّجال من الدّين أليس الأسانيد ننظر للصّحيح من الضّعيف باعتبار رجالها؟ فكذلك الكتب فإنّ الكتب هي أسانيد الوِجادات فلا بُدّ من معرفة مؤلفها، والمؤلف إذا كان عالما فتّش وحقّق ودقّق فلم ينقل في كتبه كلّ شيء، بخلاف الآخر الذي يكون حاطب ليل **أي:** كلّما وجد شيئًا أثبته وكلّما وجد نقلًا كثّر به كتابه فيأتي بالصواب والخطأ وبالغث والسّمين معًا.

إذن: من القواعد المهمّة للتّعامل مع الكتب أنّنا إذا أردنا أن نقرأ الكتاب أن ننظر



لمؤلّفه فإنَّ معرفة المؤلف ومكانته وعلمه من الأمور المهمّة.

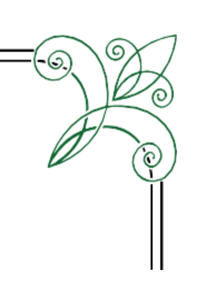
من باب طرد السّآمة أذكر لكم قصةً في بعض البوادي عندنا حكى لشخص -هذه قصة قديمة وليست حديثة في أول بدأ النّاس تعلمهم للقراءة- جاء رجل لمرأة فقالت: عندي كتاب تقرأ عليّ بنتي منه كثيرًا وهذا الكتاب فيه قصص تُبكي، قال: أعطوني هذا الكتاب فلمّا أخذ الكتاب من قريبته إذ الكتاب مكتوبٌ عليه العهد الجديد إذ بها تقرأ في الإنجيل وهي مسكينة **يعني**: لا تعرف عجوز وبنت حديثة القراءة **يعني**: صغيرة جدًا تقرأ على أمّها.

فأنا قصدي من هذا الكلام: أنّ معرفة الكتاب ومعرفة مؤلفه مهم وأنا أتيتك بالمثال الذي لا يختلف اثنان على خطأه فإنَّها كانت تقرأ في الإنجيل وهي لا تعلم تقرأ القصص التي فيه وتبكي فتتأثر بها هذه العجوز فكذلك غيرها من الأمور، وكثير من الأهواء التي جاءت في زماننا والغلو الذي حدث إنَّما كان بأسباب كتبٍ مجهولة، وقد أشار النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في آخر الزّمان يكثر القول ولا يُعرف قائله فجاء أنّه في آخر الزّمان يأتي الناس فيسمعون صوتًا لا يعرفون قائله فيقول: قد خلفكم الدّجال في أهلكم فيخرجون، هذه لها معنى أنَّه ينتشر المجاهيل الذي يتكلمون، ومن أكثر الأزمان في كلام المجاهيل زماننا هذا، وخاصّةً في وسائل التّواصل ففترةً كانوا يتكنَّوْن فيقول أبو فلان الفلاني، وأبو فلان الفلاني ثم أصبحوا بدل الكُنى ألقابا يجعلون لهم ألقابا فتجد من الألقاب الغرائب، وتجد هذا الرّجل ربّما كان كتاباته متابعوه بعشرات الألوف، وإذا بحثت عنه وفتّشت فنظرت إليه في جماعته وأهله وجدته إنما هو من أطرف القوم وأبعدهم عن المكانة، ولذا قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آخر الزّمان أن ينطق الرُّويبضة عند أهله لا قيمة له ولكنّه إذا

كتب اتبعه النّاس وصــدّقوا قوله وهذا علامة ســوء في النّاس أن يتبعوا الرُّوَيبضــة ويتركوا كامل العقل.

إذن: هذه من القواعد المهمّة وهو: أنّه لا بد أن يســمى، يُعرف صــاحب الكتاب فيقرأ كتابه، فليس كلّ كتاب أُلّف ولو في أي فنٍ يُقبل لا في اجتهادٍ فقهي، ولا في أمرٍ خبري، ولا في أمرٍ اعتقادي كذلك.



من الأمور المهمّة في التّعامل مع الكتب:

يجب أن تعلم كيف تقرأ الكتاب.

۞ بعض الإخوان يقرأ الكتب بفتح الكتاب فيقرأ مسألة ويترك الباقي فلا يقرأ أول الكتاب ولا آخره، ولا مقدّماته ولا خواتيمه، فحينئذ يكون تصوّره للمسألة ناقص، وهذه الطّريقة في القراءة كثرت في هذا الوقت وخاصة مع وجود الموسوعات، فإنَّ هذه الموسوعات الإلكترونية يبحث فيها المرء فتوجِد له الجزء الذي يريده فيأخذ هذا الجزء ويترك الذي قبله والذي بعده، وهذه الطّريقة في الاجْتِزاء تأتي بغرائب الأمور فقد يكون المرء اجتزأ كلامًا ناقصًا فيُفهم الكلام على غير وجهه.

۞ **الأمر الثاني** أن بعض العلماء عندما ألّف كتابًا فإنّه يبني ما كتبه في وسطه على المقدّمات التي أوردها في أوّله ما لم تَفهم الأول فلن تفهم الأخير.

۞ **الأمر الثالث** أنه ربما هذا الكلام الذي وقفت عليه أو اجتزأته ليس من كلام المؤلف وإنّما أراد أن ينقله عن غيره فظننت أنّه كلام، وهذا كثير في الكتابات المعاصرة، ولذا فإنّ الفهم الصّحيح أنّك تقرأ الكتاب كاملا فتعرف غرض المؤلف وتعرف مَقصِده، وتَعرف طريقته في التّعبير فإنَّ بعض العلماء طريقته يورد الاستطرادات فيأتي بشرط ثم يذكر استطرادا في سطر ونصف ثمّ يأتي بالمشروط، لا تعرف هذا الأسلوب إلا إذا اعتدت القراءة من أوّل الكتاب حتّى تعرف طريقة المؤلف وأسلوبه، فإنّك حينئذ تعرف هذه الطّريقة كمالها في طريقة هذا الرّجل، ولذا من الأمور المهمّة أنّك إذا قرأت كتابًا أن تبدأ من أوله

وآخره فتبدأ أولًا بقراءة مقدّمته وتقرأُ آخره وهي: الفهارس لأنَّ الفهارس تُعطيك تصورًا كاملا عن الكتاب ثمّ إذا أردت أن تقرأ جزئيةً فاقرأ الفصل الذي هو فيه كاملًا لكي تفهم هذه المسألة كلّها، وهذا كثير وخاصة في كتب الشّيخ تقي الدين كثير من الناس يفهم من كلام الشيخ تقي الدين ما لم يقله وما لم يقصده لأنَّه اجتزأ كلامه عن أوّله وعلى سبيل المثال كتاب «بيان تلبيس الجهمية» فإنه لا يُفهم حقيقة إلّا بقراءته كاملا، بعض الكتب أيضا لا بُدَّ من قراءتها لأنَّها بُنيت على فترة زمنية كتبت لفترة زمنية معينة بناءً على ظروف مخصوصة، فإذا قرأت الكتاب عرفت ذلك، ولذا فإنَّ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في كتابه «مصباح الظّلام» قال: «إنّما وجد من كتابة المشايخ قبله إنّما كان في فترة زمنية وظروف معينة فلا يصحّ تعميم كلامهم» قال هذا قبل أكثر من مئة سنة وأكثر، العجيب أنّ بعض المعاصرين ينقل الكلام الذي بينه الشيخ عبد الطيف عنهم ثم يستدلون به على تكفير أفراد وعلى خروج على ولاة وعلى شقٍ لعصا الطّاعة وعلى أمور كثيرة فقال : إنّ فهمهم غير صحيح لأنّها بنيت على حالات، ولذلك فإنّ بعض الكتب أُلّفت لواقعة معيّنة فلا بُدّ من معرفة هذه الواقعة، وهناك كتب أُلّفت على أساس أنّها قواعد كلّية فننزّل الأولى منزلتها، وننزّل الثانية منزلتها، ولا تجعل ما أُلّف على هيئة فتوى أو على هيئة حكمٍ لواقعةٍ تجعله على مثابة الحكم الكلّي، ولذا عند العلماء قاعدة: (أنّ الفقه لا يُؤخذ من الفتاوى وإنّما يُؤخذ من الكتب الفقهية)، الفتاوى لا يؤخذ منها فقه وإنّما تؤخذ منها مسائل، ولكن لا يؤخذ منها فتوى فقه كلّي إذ الفتاوى تكون لوقائع ونوازل معيّنة.

يعني: هذه بعض الأمور المهمّة التي تتعلق بمنهجية في قراءة الكتب، وكيف أنّ هذه

المنهجية مؤثرة في الفهم الصّحيح لمضمون الكتاب سواءً كانت الكتب من كتب الحديث أو الفقه أو التّوحيد والاعتقاد أو غيرها من العلوم الأخرى التي سبق الإشارة لها، وهذه ربّما هي أهمّ القواعد الحاكمة لهذه المسألة.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ لنا جميعًا أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصالح،

وأن يتولّانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات،

وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصّالح،

وصلى الله وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الأســــئلة:

السـؤال: **يسأل أحد الإخوة يقول: نسمع عن الحَرُورِية حينما نقرأ في كتب التّاريخ والعقائد، فما هي فرقة الحرورية؟**

الجواب: **الحرورية**: فرقةٌ متقدّمة ولذلك قالت عائشة لمّا قالت لها امرأةٌ ما بال النّساء يُؤمرن بقضاء الصوم ولا يُأمرن بقضاء الصلاة، فقالت: «أحروريةٌ أنتِ؟»، الحرورية نسبة لحاروراء وهي مدينة من مدن العراق خرج فيها أقوامٌ اجتهدوا في تفسير النّصوص بعقولهم، ولذا كانت أول البدع ظُهورًا في عهد الصّحابة أو في أواخر عهد الصّحابة هي بدعة الخوارج، **فالحرورية هي**: قومٌ من الخوارج خرجوا، فسّروا النّصوص بعقولهم فحينئذ نسبت لهم هذه النسبة فقالت: أحرورية أنت؟ فهي نسبة إلى بلدة.

السؤال: **كيف نعرف العلماء الذين يُأخذ عنهم العلم ونختارهم وقد كثرة الاختلافات والاتجاهات وكذلك بالنّسبة للكتب، والسؤال الثاني أيضا تابع له ما الصحيح [..] من المذاهب الأربعة [..]؟**

الجواب: **نبدأ بالمسألة الأولى وهو: قضية كيف تعرف العالم؟**

العلماء يقولون: إنّ العالم يُعرف بصفات، هذه الصّفات تنقسم إلى قسمين:

صفات لازمة لا بُدّ من وجودها، وصفاتٌ مرجِّحة. وهذه الصّفات مرجِّحة عند التّعارض بين من تحققت فيه هذه الصّفات اللازمة.

الصفات اللازمة صفتان:

- **الصفة الأولى**: لا بُدّ أن يكون المرء ذا علمٍ.
- **والصّفة الثانية**: أن يكون ذا دين.

وهما أمران واضحان كلُّنا يعرف أنَّه لا يُقلّد في الدّين ولا يسأل ويأخذ العلم إلا من وُجد فيه وصفان: العلم والدِّين، لأن فاقد العلم لا يُمكن أن يُعلم من هو فاقدٌ له، فاقد الشيء لا يمكن أن يُعطيَه وهذا من بدائه العقول أنه لا بدّ أن يكون عنده علم، وأمّا الدّين فلأن العلم الشّرعي فيه معنى التديّن ليس كل من تعلم فهو عالم بل لا بدّ فيه معنى الدّين، وأوّل الدّين الدّخول في الإسلام، ثم مطلق التّديّن بعد ذلك. قلت هذا لما؟ لأن بعضًا من الكفّار ألفوا كتبًا في الفقه، هناك كتاب اسمه «التّتمة الفقهية» يقول: قال أبو حنيفة وقال محمد ابن حسن وقال أبو يوسف والرّاجح عندي كذا ويُرجح مؤلفه ماروني ليس مسلمًا والكتاب طُبع سنة ألف وثلاثمئة وثلاثة وخمسة قبل المئة ثلاثين سنة ماروني حتى لا يذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويصلّي عليه يذكر المسائل ويفصل فيها في غير العبادات في المعاملات وفي الجنايات، باعتبار أنّ القضاء عليها.

إذن: ليس العلم مأخوذ لا بُدّ فيه من الدّين. كيف نعرف أنّ المرء عالم ومتديّن؟ **يُعرف بأمور:**

- **الأمر الأول**: بثناء النّاس عامةً عليه، وقد جاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في حديث أنس مرت عليهم بجنازتين فقال: **«الأُوْلَى وَجَبَتْ وَقَالَ: الثَّانِيَة وَجَبَتْ، قَالُوا: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: الأُولَى مَرَّتْ فَأَثْنَيتُمْ عَلَيْهَا خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهَا الجَنَّة، وَالثَّانِيَة مَرتْ فَأَثْنَيْتُمْ عَلَيهَا شَرًا فَوَجَبَتْ**

لَهَا النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي أَرْضِهْ»، الاستفاضة بأنّ المرء معروف بالعلم هذا معتبر.

إذن: أن ترى شـخصًـا فتُبهر بلسـانه وبيانه وبمحفوظه وهو غير معروف عند النّاس بالعلم كُن في توجسٍ منه أنا لا أنفي علمه وإنّما كن في توجسٍ منه لأنَّ أمة محمد لا تجتمع على ضلالة.

۞ **الأمر الثاني**: أن يكون معروفا بالعلم من أهل العلم، ألم أقل لكم إنّ **مالكًا** قال: «لم أُفت حتّى شهد لي سبعون معمّمًا أنّي أهلٌ للفتوى»، فإنّما يعرف الفضل أهله ويشهد به من تَحمَّله، فالعلماء هم الذين يسـتطيعون أن يحكموا أن فلانًا عالم أو ليس بعالم، ولذا فيُسأل الأشـياخ إن أثنوا على شـخصٍ فما أثنوا عليه وهم من أهل الدّين إلا وهو من أهل العلم أو عنده من العلم ما يستحق أن يؤخذ منه وهذا معيارٍ ثاني مهم.

۞ **المعيار الثالث**: لكي نعرف هل عنده علم أو لا أن يكون الشّـخص معروفًا بتحصـيل العلم، العلم لا يأتيك فجأة ليس عندنا كما يدّعي بعض من لا خلاق له أنّ العلم يأتي فجأةً فيكون علمًا لَدُنيَا، لا، بل العلم يكون بالتّدرج بالتّعلم الذي عُرف من صِـغره بالجلوس عند العلماء وبالأخذ عنهم وبالتَّعلم بطريقة أهل العلم المعروفة فهذا معروف عنه أنَّه قد تعلّم، نعم بعض النّاس يسـتطيع في أيام قليلة أن يُحصّـل شـيئًا كثيرًا لكن لمَّا لم يُعرف بالعلم فليس من أهل العلم لا بُدَّ من إطالة المُكث فيُعرف بالجلوس عند العلماء يُعرف بالحفظ لا بُدَّ أن يكون حافظًا لكتاب الله وهو أهمّ شـيء ثم سـنّة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ثم بعد ذلك متون أهل العلم.

إذن: لا بدّ أن يكون المرء معروفًا بالجلوس عند العلماء وأخذ العلم فترةً طويلة،

وهذا معيار مهم جدًا.

❁ **من المعايير كذلك**: أن يكون المرء مع تحصـيله للعلم أن يكون ذا عقل، فمعرفة العقل مهم وذلك أنّ الشّـخص يسـتفيد من شـيخه في روايته وإسـناده وفي فهمه ونقله، وفي فهمه وتدقيقه ويستفيد منه في خُلقه وفي حكمته، فإذا كان الشّيخ ذا عقلٍ وحكمة انتفعت من عقله ربّما أكثر من علمه، وهذا مشـهور يذكرون عن بعض أهل العلم أنّه كان انتفع بعقله أكثر من الانتفاع بعلمه لأنّ العالم ليس مجرّد ناقل كالكتب فهو نسـخة من الكتب وإنّما عنده التنزيل فجزء من العلم هو التّنزيل على الوقائع، وهذه تحتاج إلى العقل بأقسـامه الأربع.

إذن: هذه بعض الأشياء التي يُعرف بها العالم ولها كتب مفصّلة، وغالبا ما يتكلم عنها العلماء في أصول الفقه عندما يتكلّمون عن مباحث الاجتهاد والتّقليد.

❁ **المسـألة الثانية: كيف تعرف الكتاب**؟ لكلّ علمٍ كتبٌ جرت عادة العلماء على البداءة بها. **إذن**: لكلّ فن كتبه.

❁ **الأمر الثّاني**: لكل بلدةٍ ومدرسـةٍ كتبها، فلكلّ بلدة عندهم كتب يقرؤونها، ولذا إذا أردت أن تقرأ على مشـايخ بلد فلا تقرأ كتابا ليس مقروءًا عندهم ولا مشـروحا لأنَّ الكتب تتكرّر في الشّـرح فالذي يشـرح كتابًا ثلاثين مرة أو عشـرين مرة إذا شـرحه بعد ذلك يكون عنده كما يحفظ الفاتحة من سهولته وعدم الإغراب في فهمه.

إذن: اختيار الكتاب الذي تقرأه على الشيخ، **لا بُدّ أن يكون مبنيًا على أمرين**:

- مبنيًا على الفن.

- وعلى الكتاب الذي جرت العادة بالإقراء له في البلد.

وهذا معروف منذ القدم كل بلد عنده كتب يُقرؤونها كل المذاهب الأربع كل منطقة من المناطق التي ينتشر فيها المذهب يوجد عندهم كتب يعتمدونها بخلاف البلدة الأخرى وهكذا، ولذا فإنّ معيار الكتاب الذي يُختار مختلف لكن أهم المعيار الذي ذكرته لك قبل قليل ألا يكون فيه أشـياء رديّة، وأن يكون مؤلفه معروفًا بالعلم وأن يكون الكتاب بالتّدرج يبدأ بصغار العلم قبل كباره.

۞ **المسألة الأخيرة:** قضية الذي أشار إليها أخونا الفاضل وهي قضية أيُّ مذهبٍ من المذاهب الأربع ينتسب له طالب العلم؟ نقول أنَّه من قال أنَّه يجب الانتساب لمذهب أبي حنيفة أو مالك أو الشّافعي أو أحمد دون ما عداه وأن الصواب في أحد الأربع دون ما عداها فهو على ضـلالٍ عظيم فقد ذكر ابن مفلح في «الفروع» أن من قال هذا يُؤدب، الصّـواب في قال الله قال رسوله.

إذن: المذاهب الأربع ما هي؟ المذاهب الأربعة هي وسـيلة للوصـول لمعرفة الحق، فقد يكون الصّـواب في أحدها دون ما عداها لكنّه لا يخرج عن الأربعة أبدًا، قاله شـيخ تقي الـدين ابن تيميـة وقـال ابن رجـب وقـالـه ابن حجر الهيتمي وكثيرون قـالوا هـذا الكلام، الأحكام في الغالب لا تخرج عن أربع فيكون بمثابة الإجماع عليها لأن خلاف السّـلف كلّه دخل فيها. وأنا أقول أربعة المذاهب ولا أقول أربعة الأئمة فرق بين المذاهب والأئمة وتكلمنا عنها قبل. ما الذي تختاره؟ تختار الذي عليه أهل بلدك فقط ما الذي عليه أهل بلدك خذهُ وتعلّم به، ثمّ بعد ذلك إذا تمكنت من الدّليل فحينئذ تجتهد **ولذا فإنّ فقهاؤنا**

يقولون: «من كان مجتهدًا بالدّليل فإنّه يحرُم عليه أن يُقلّد» يحرم التقليد على المجتهد لكن متى تكون مجتهدًا ليس طالب جامعة مجتهد هذا مسكين يأتي بغرائب الفتاوى، بغرائب المسائل، المجتهد الذي بدأ وعرف الفقه وقرأه من الطّهارة إلى الإقرار وضبط وفهم ثمّ عرف الخلاف والأدلة فيها ثمّ بعد ذلك استطاع النّظر.

إذن: لا تتسور الجدار فتصل لمرحلة الأكابر وأنت لم تبدأ بمرحلة أولى قبلها.

إذن: الطريقة أن الإنسان ينظر ما هو المذهب السّائر في بلده فيتعلّم به، ثمّ بعد ذلك وفقه الله عَزَّوَجَلَّ لصفاء ذهنه، وحُسن فهمه وطول عُمره واستطاع النّظر في الأدلة فحينئذ ينطلق، وأمّا أن يبتدأ ابتداءً فيقول: أجتهد في كلّ مسألة أقولها وأنا في بيت الله الحرام فهو كاذب لا يمكن ذلك الشخص ابتداء يكون مجتهد في كلّ مسألة لا يمكن على مرّ التّاريخ أبدا لا يمكن لا يمكن فهو إمّا أن تقلّد شخصًا وإمّا تقلد مدرسةً.

إذن: المذاهب الأربعة المقصود منها التّفقه والتّعلم فقط، وأمّا التّعصب فهو مذموم، فرق بين التّعصب وبين التّفقه، التّقليد مجمعٌ على العمل به إلّا لمن وجد الآلة فإنه يجتهد وقليل من تجد عنده الآلة الاجتهاد.

السؤال: ..

الجواب: بالنسبة أولا للإعجاز العلمي في القرآن فلست متَعبدًا به لا من قريبٍ ولا من بعيد، وقد ذكر الشّاطبي كلامًا في «الموافقات» جميلًا مؤدّى كلامِه أظن في «الموافقات» أو «الاعتصام» نُسيت الآن مؤدّى كلامِه أنّ القرآن لا يُعارض الحقائق العلمية ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]، الخلق خلق الله، والأمر أمره

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومنه كتابه لا يُعارض الحقائق لكن القرآن لم يأت لإثبات الحقائق، أنظر الفرق بين الثنتين هو لا يُعارض ولكن من يأت لإثباتها إنّما جاء القرآن للأمر بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالعبادة وتوحيده جَلَّ وَعَلَا فما يفعله بعض النّاس من أن يلووا نصوص الأخبار من الكتاب والسنّة لكي تكون مُثبِتة لنظرية ما وأقول نظرية من باب المعرفة لأنه لا يلزم أن تكون حقيقة فبعض النّاس الآن بدأ حتّى يُثبت النّظريات بالقرآن هذا باطل لأن هذه النّظرية قد يثبت بعد ذلك بطلانها، أو يثبت خطأها أو يثبت تقييدها أحيانًا فحينئذ كذّبت القرآن نحن نقول: القرآن لا يعارض لا يقول هو صواب أو خطأ فهذه مسألة أما أن تأتي للإعجاز بهذه الطريقة فقد أنكرها بعض أهل العلم ومنهم الشّاطبي فقد أطال الكلام في هذه المسألة وقد ذُمّ من توسع في هذا الباب فخر الدين الرازي في تفسيره «معالم الغيب» ذم حتّى قيل إنّ كتابه فيه كلّ شيء إلّا التّفسير.

إذن: القرآن لم يأت لإثبات هذه الحقائق ولكنّه لا يعارضها أنظر الفرق بين الثنتين فرقٌ بين التّعارض وبين إثبات الحقائق هذان فرقان كبيران فانتبه إليهما.

من كان متمكنًا من فهم الكتاب فهمًا صحيحًا بلسان العرب ثمّ أراد أن يقول إنّ هذه الحقيقة لا تعارضها لا مانع منه، وقلت فهم لما؟ بأنّه مرّ علي شخص أراد أن يثبت لا أقول كروية الأرض طبعا إجماع أهل السّنة على أنَّ أهل الأرض كروية -مشهور هذا الشيء- ولكن أراد أن يقول إنَّ الأرض بيضوية فقال: إنَّ هذا في القرآن وهذه الحقيقة ثابتة قبل عشرات القرون أين ذلك؟ قال في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]، قال: ونحن عندنا في لهجتنا لهجة البلد التي هو منها الدِّحيةُ هي البيضة فقوله دحاها

أي: جعلها كالبيضة على شكل بيضوية منذ سمعت هذه الكلمة إلى الآن من أكثر من خمسة عشر عاما أو عشرين عاما وكلّما وجدت كتاب لغةٍ بحثت في دحاها فلم أجد من أهل اللغة إن دحا معناها بيضة، وإنّما دحا أي: أنّها ليست مجوّفة وإنّما ممتلئة الدّاخل فهنا أبعد في تفسير الآية لإثبات نظريةٍ ما أرادها هذا التّكلف منهي عنه ومذموم.

إذن: فرق بين الاستدلال بالقرآن لها وبين القول بأنّ القرآن لم يُعارضها، القرآن ما جاء لإثبات الحقائق الكونية لا الكيميائية ولا الطّبية ولا جميع الحقائق الأخرى، وإنما جاء لإفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالعبادة والأمر بذلك ففرق بين المسألتين، والإنسان طبعا لا يتكلّف فإنّ هذا من الأمور المعتادة لكن ربّما تأتي مسألة أو مسألتان تأتي في محلّها فحينئذ تأتي تبعا لأصل.

السؤال: **ما رأي فضيلتكم في «ألفية العراقي في السيرة»؟**

الجواب: «ألفية العراقي في السيرة» ألفية جيدة، وقبل أربعة أيام أو خمسة وجدت نسخة منها رأيتها عند أحد الإخوان لعله يعمل عليها بخط البرهان الحلبي وهي موجودة الآن وهي جيّدة وجميلة والعراقي ممن ألين له النّظم حقيقة وإلى عهد قريب كان عندنا من يلزمونه بالحفظ أيام أي: بعض مشايخنا كانوا يلزمونهم أيام المعهد العلمي قديما بحفظ الألفيات ألفيته في الحديث فألفيته جيّدة وشعره جميل -عليه رحمة الله-.

السؤال: **ذكرتم أنّ الكتب وحدها لا تكفي فهل إذا جمع بين القراءة وشرح صوتي [..]؟**

الجواب: بالنسبة للقراءة وحدها لا تكفي لأنّها قد تؤدّي للفهم الخاطئ لكن لابدّ أن

يجمع مع القراءة أشياء **أخرى منها**:

۞ القراءة على أهل العلم.

۞ ومنها المدارسة مع طلاب العلم لابدّ من المدارسة والمذاكرة فإنّ المرء لا يكون عالمًا حتّى يأخذ العلم ممن هو أعلى منه وممن هو مثله وممن هو دونه فلا يستنكف ولا يستكبر والمدارسة هذه مفيدة في الفهم وخاصةً إذا كنت من تُدارسه يُجيد الفهم، وذلك أنَّ الإنسان أحيانا قد يقرأ الكلام لا ينحلُّ له إلَّا إذا تكلّم هو هذا مجرد ولذلك إذا استشكلت مسألة أكثر الكلام فيها كل من رأيته قل المسألة الفلانية رأيتها، رأيت المسألة الفلانية لم أجد لها حلا، ما رأيك بحلّ المسألة الفلانية اسأل النّاس كلّهم ربّما تجد الحل عند من هو في سنّك، من هو مثلك وربما يكون الحل عند من هو دونك وهذا كثير جدًا لا تتصوّر كيف يمر وربّما هذا هو المهم أن تجد الحل وأنت تتكلم لأنّ الكلام سبحان الله العظيم يُنشّط الذهن وقت الكلام، ذكرّوا أنّ الفارابي ذكر أنَّ أكثر ما تستخرج به الفِكر كثرة الكلام أن تكلم تأتيك الأفكار ولكن تتكلم مع من؟ ليس مع الذّي يسلّم لك كلما قلته قال صح صح وإنّما شخص يُناقشك ويكون عنده حظ من العلم، فإذا استشكلت الكلمة فإنك حينئذ تكلم بها وأوردها وخاصة إن كان الذي أمامك من أهل العلم فإنّه حينئذ تنحل بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

من جهةٍ أخرى أنّ بعض النّاس قد لا يجد وقتًا أو لا يجد شيخا يستطيع القراءة عليه يسّر الله عَزَّوَجَلَّ أمورًا منها هذه المسموعات والمرئيات ولكن هذه لا شكّ أنّها أقل درجةً من الحضور لا شك، أول شيء لأن الحضور بركته في المساجد كما جاء عن عمر بن عبد

العزيز –رحمة الله عليه– أنه قال: «لا تزال هذه الأمة بخير ما كان العلم في المســاجد» كلّ علمٍ ودرسٍ في المسجد أحلف أن بركته أضعاف أضعاف ما يكون خارج المساجد لا شك بركة المسـجد عظيمة جدًا جدًا جدًا ولذلك احرص على الدّروس التي تكون في المسـاجد كلّ درس في المسـجد كان فيه بركة، بعض المشـايخ قيل: لما أضـيفت الهاء لجامع الأزهر، ونُقلت الدّروس من الجامع إلى المباني قلّت بركته، فدائمًا المســجد فيه بركة، الدّرس إذا كان في المسجد ففيه بركة عظيمة جدّا.

ثانيا: أن الشّخص إذا حضر عند الشيخ ونظر لتصرّفه وسياق كلامه قد يقع في ذهنه من الفهم ما لا يقع عند الأول بل ربّما توقفه وتسأله في بعض المسائل أو يعيد الجملة لما ينظر لعينك وأنك لم تفهم، فلذلك لا شـكّ أنّ الحضـور أقوى في الدِلالة من السّـماع لكن ما لم يدرك جلّه لا يترك كله فيكتفي المرء بما يستطيع فلربما كان في هذا نفع بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

السؤال: **ما هي الكتب التي يبدأ طالب العلم بقراءتها؟**

الجواب: أوّل شــيء يبدأ به كتاب الله عَزَّوَجَلَّ هذا مهم، كل شــخصٍ يُهمل كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فقد خسر، والعجيب أنّ بعض النّاس المنسوبين لبعض العلوم الشّرعية تقلّ عنايتهم بكتاب الله، روى الضِّــياء المقدســي في بعض كتبه عن أبي الزّناد أنّه قال: «أزهد النّاس في القرآن المتفقهة» فبعض النّاس قد ينشغل ببعض العلوم ويظنّ أن انشغاله فيها خير فينشغل بها عن الأفضل وهو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

إذن: أول الأمور وأهمها بالتّعلم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومر معنا كلام أحمد للمرّوذي قال: «يُقرأه كتاب الله ثمّ يُســمعهم السّــنة»، ثمّ بعد ذلك يبدأ بالسّــنّة والأحاديث المصــنّفة فيها

كثيرةٌ جدًا، **لكن ليبدأ من الأحاديث بنوعين:**

۞ **النوع الأول:** أحاديث الأحكام فإنّ أحاديث الأحكام هذه مهمّة لأنَّها هي التي ينبني على لفظها الحكم، والإخلال بلفظها يتغير به المعنى، أحاديث المواعظ والآداب لو غيرت لفظها لم يتغير معناها في الجملة، بينما أحاديث الأحكام حركة تُغيّر المعنى بكليته، في درسنا أمس هو لك عبدَ بن زمعة لو قال هو لك عبدُ بن زمعة هو لك عبدٌ بن زمعة تغير المعنى فالحنفية ينطقونه هو لك عبدٌ بن زمعة والجمهور ينطقون الحديث هو لك عبدَ بن زمعة يختل المعنى من كونه حرًا إلى كونه قِنًّا ومن كونه أخًا إلى كونه مملوكًا ونسبه بدل أن يكون زمعة يكون أخًا لسعد بن أبي وقّاص. -طبعا سعد بن أبي وقّاص واسمه مالك ويكون ابنًا لمالك-.

فالمقصود من هذا كلّه أن أحاديث الأحكام يُعنى بلفظها.

۞ **النّوع الثاني من الأحاديث:** التي يبدأ بها طالب العلم أحاديث جوامع الكلم، جوامع الكلم أول من بدأ في سلسلة معيّنة بجمعها الذي جمعها كثير أبو عمرو ابن الصّلاح فإنّ أبا عمرو في مقدّمته جمع نحوًا من بضعٍ وعشرين حديثا قال: «هي جوامع الكلم تُردّ إليها جميع المعاني»، جاء النووي فأخذ هذه الأحاديث وأوصلها إلى أربعين، ثم جاء بعده ابن رجب فزادها إلى خمسين حديث هذه الخمسين هي من جوامع الكلم يجب على طالب العلم حفظ هذه الأحاديث لأنها دائم الاستدلال بها هذه الخمسين حديث التي تتابع على جمعها ثلاثة من الأئمّة وليس إمامًا واحد بل الثلاثة كل واحد جمع وزاد قليلا هي من أهمّ ما يُحفظ فإنّها في جوامع الكلم وكثير الاستدلال بها وقلّ ما يأتي يوم لا تستدلّ بها هذه

الخمســين حديثًا هذا من حيث المحفوظ، ثمّ بعد ذلك تنتقل للشّــروحات أهل العلم يقولون: لا تُكثر من القراءة تأخذ في كلّ فنٍ كتابًا واحدًا، فتعرف هذا الكتاب ثمّ بعد ذلك تبني عليه فعلى ســبيل المثال في الحديث لو أخذت أحد شــروحات «العمدة» أو «البلوغ» باعتبار الكتاب الذي تحفظ ذلك لم أســمّي كتابًا في أحاديث الأحكام، بعض النّاس يحفظ العمدة، بعض النّاس يحفظ البلوغ، بعض النّاس يحفظ المحرر مثل: طلاب الجامعة الإسلامية، بعض النّاس يحفظون المنتقى للمجد فأيُّ كتابٍ من الأحاديث الأحكام احفظه حسب الكتاب الموجود عندك والمشايخ الذي يشرحونه عندك، فتأخذ كتابًا من شروحه، وتجعل هذا الكتاب عندك دائمًا هو المعتمد وما عداه تبني عليه، ولذلك في العلم دائمًا عليك بكتابٍ واحد ثمّ تبني عليه مثله في الفقه، الفقه دائمًا خذ كتابا واحدًا وابني عليه ســبحان الله يبارك لك، كثيرًا من الإخوان يمرّون عليك يقول بدأت في الكتاب الفلاني ثمّ قيل لي الكتاب الفلاني أحســن فتركت الأول وانتقلت للثاني لا يكاد أســبوع إلّا ويمر عليه هذا السؤال، يقول: حفظت الكتاب الأول ثمّ قيل لي بل الكتاب الثاني أسهل أو أحسن أو أشمل أو النظم الأول والنّظم الثاني أدق، أنت إذا بدأت بكتاب لا تتراجع.

إن كنــت ذا رأي فكــن ذا عزيـمـــــة ... فـــإن فســـــاد الرأي أن تـــــتردّدا

أخذت كتابا اســتمر فيه ثمّ اجعل هذا الكتاب أصــلًا ارجع للكتب الأخرى بعد ذلك وزد وانقص وصـحح وقيّد على كتابك، ولذلك دائمًا نقول: الكتاب الأول الذي تعتمده في الفقه والكتاب الأول الذي تعتمده من أحاديث الأحكام هذان الكتابان لا بُدّ أن يكونا من الكتب المعتمدة عندك في البلد، ما هو المشــايخ يقرؤونه خذهُ، أحد المشــايخ يقول: إذا

جاءني الطالب فقال: يا شـيخ ماذا أقرأ عرفت أنّه طالب علم، وإن جاءني وقال أريد أن أقرأ الكتاب الفلاني عرفت أنه لم يستطع أن يبني بناءً فأقول: له نعم اقرأ وأعرف أنّه لن يستمر.

ولذلك دائمًا إذا بدأت لا تنقطع، آفة العلم عدم الاسـتمرار فيه، أخذت كتابا أسـتمر عليه ثمّ إن وجدت نقصًـا فقيّده عليه، واجعل بناءك على هذا الكتاب تنتفع هذه طريقة أهل العلم منذ القدم كلّ واحد له الكتاب هذا الكتاب هو أهم كتابٍ عنده دائمًا يراجعه، فيكون معه في حظره وفي سفره، كان أحد المشايخ له كتاب البلوغ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معه دائمًا في حضر وفي سفر، مليء بالتعليقات قرأه على المشايخ في الخمسينات الهجرية وقت قراءتي كانت في الخمسـينات الهجرية الآن منذ تسـعين سـنة، وإذا وجد فائدة أضـافها عليه، ثم فقد هذا الكتاب في أحد الأماكن، قال فقلت: من وجده لي -لصـاحب الفندق الذي سـكن عنده- من وجده لي سـأعطيه كذا وكذا من أغلى الأثمان، يقول: ما وجدوه فيقول دعوت الله حتّى بعد سنة سكنت في ذلك المكان فإذا في المسجد الذي بجانبه الكتاب موجود يبدوا أنَّ أحد العمال وجده فجعله في المسجد فيقول فأخذت كتابي وجعلت بدله عشرة في المسجد.

إذن: لا بدّ أن يكون لك كتاب تعتمده وتبني عليه لكي الذهن ينسـى يا شـيخ ما في إنسان يحفظ كلّ شيء، الذهن ينسى كثيرًا جدًا جدًا ولكن إذا رُتّب الكتاب بهيئة معينة تستحضـر المسـألة بناءً على موضـعها في الكتاب، ولذا العجيب أن المشـايخ قديمًا كانوا يقولون لنا اختر النسـخة التي تحفظ منها، إذا أردت أن تحفظ كتابًا اختر النّسـخة ليس أي نسـخة تحفظ لأنّ جزءًا من حفظك يعتمد على النثر ولأنّ قلة الصـفحات كانوا يقولون لنا هكذا قلة الصفحات مساعدة في الحفظ فكانوا يقولون مثلا في البلوغ احفظوا نسخة الحلبي

لأن نسخة الحلبي كلها مئتي صفحة أو أقل البلوغ كله أقل من مئتي صفحة تقريبا الصفحة مليئة فيها اثني عشرة حديثا أو ثلاثة عشر حديث فيكون أقل عليك وأسهل في حفظها على العموم هي مناهج فأنت إذا حضرت عند أهل العلم استفد من طريقتهم وسيكون لك مسلكًا بعد ذلك، العلم سهل والله إنّه سهل **ولكن الإشكال أمران:**

- عدم الاستمرار.
- وعدم معرفة الطريق الصّحيح الذي يوصل إلى الهدف.

إذا وضعت رجلك على الطّريق الصحيح واستمريت عليه ستصل ولو كنت أقلّ ذكاءً ولو كنت أكثر شغلا ما دمت على طريق مستقيم واستمريت عليه ولم تنقطع فستصل، وليس للعلم طريق واحد بل له طرق دليله ما ثبت من حديث أبي هريرة وأبي الدرداء بنحوه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ**» **علماء الأصول واللغة** يقولون: «إنّ النّكرة في سياق الإثبات تعمّ عموم أوصاف لا عموم أشخاص فالطريق هنا نكرة في سياق إثبات، فدلنا على أن العلم له طرق وليس طريق واحد لكن ماهي الطرق الصحيحة؟ هذه التي انتبه لها.

إذن قيدان:

- الطريق الصحيح.
- والاستمرار على العلم.

ثق أنّك ستصل ثق ثقةً عمياء وهذا معنى قول الشّافعي الذي نقله عنه **العلائي** قال: «الفقه كالتّفاح الشّام سهل التّناول» فأنت ستصل لكن عليك بهاذين القيدين، الإشكال أن

كثيرا من النّاس يعلم أنَّ العلم سـهل لكن يختل له واحد من هذين الأمرين يسـلك طريقًا خاطئا فيؤدي ذلك لأن تكون النتيجة خاطئة فيكون فهمه خاطئًا، ويكون نظره وفتواه مخطئة أو لا يسـتمر يأخذ أول العلم ويقف، ويريد أن يقفز فيكون في مصـاف المتكلمين بمسار العلماء فيأتي بالغرائب وهو نصف عالم، وقد قالوا: «أهلك النّاس ثلاثا نصف فقيه ونصف طبيب ونصف نحوي»، فنصف الفقيه أفسد على النّاس أديانهم، ونصف الطّبيب أفسد على النّاس أبدانهم، ونصف النّحوي أفسد على ألسنتهم، فالمشكلة عندنا أن قلت: الذي بدأ في العلم عرف المبادئ يأتيك ويتكلّم، قال ابن حجر، قال النووي، قال الحجّاوي، قال فلان، يعرف أسـماء الكتب ويعرف المبتدأ يظنّ أنّه عنده علم ولكنّه أخذ الرّبُع الأول وما كمّل الثاني ولا الثالث فحينئذٍ يهلك النّاس أول الذي أخطأ أخذ طريقًا غريبا فبدأ يحكِّم العقول ويحكِّم الأهواء، والأهواء أيضا معتبرة فليس عقلا وإنّما هواه وما دخل على النّاس شر إلا بسبب بتحكيم العقول والأهواء.

السؤال: ..

الجواب: **الأمر الأول الحفظ،** ما دمت صـغيرا فاحفظ لأن المرء كلّما كبر سـنّه كلما صـعب عليه الحفظ، وأذكر أحد المشـايخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كان يقول: «يا أبنائي كل شـيء تعلّمته بعد الأربعين والخمسين نسيته» وقد جاوز قال في آخر السّبعين ومات بعد الثّمانين لكن لا أذكر متى قال لنا هذا قال: «كلّ شيء عرفت بعد الأربعين والخمسين نسيته لم يبقى في ذهني إلّا ما حفظته صغيرا»، وذلك يهدّ علينا المتون التي حفظها فما دمت صغيرا احفظ فاحفظ فكلّ حافظ إمام بعد فترة سيصعب عليك الحفظ كثيرا.

إذن: ما دمت في قدرة على الحفظ فاحفظ هذا واحد، لكن لا تنشغل بالحفظ عن أن تجمع له الأمور الأخرى كالقراءة والفهم والجمع فإنّه من الأمور المهمّة.

الأمر الثّاني: كيف يجدد حفظه؟

العلم يُنسى بل الإنسان ما سمّي إنسان إلا لكثرة نسيِّه، والذي يقول لك أنا لا أنسى أظنّه أندر من النّادر بل هو في كلّ زمان ربّما لا يأتيه إلّا شخص أو شخصان وهذه أيضا يعدّها علماء النّفس مرضا الذي لا ينسى ويحفظ بسرعة يعدونه مرض لها اسم نسيته لكن الأصل في الأدميين أن ينسون كيف تستذكر العلم؟ **تستذكر العلم بطرق:**

الطريق الأول: المراجعة ولذلك العلماء يقولون نتكلم مثال بالفقه لا يكون المرء فقيها حتّى يقرأ في السّنة الفقه مرةً كاملة **يعني:** لا بد من سنة واحدة أن يمرّ على الفقه من أوله إلى آخره مرةً واحدة على الأقل وإلا فليس بفقيه ذكر هذا الإسنوي الشّافعي ذكرها الهلالي المالكي في مقدّمته على شرح خليل وقال المشايخ كلّهم على هذا، إذا رأيت شخصًا تمرّ عليه سنة كاملة لا يمرُّ على الفقه كلِّه فليس بفقيه هكذا يقولون، قالوا وأقلّ ما يمرّ عليه أن يقرأ مختصرًا في السّنة مرة.

إذن: العلماء يوجبون أنّ المرء يقرأ مختصرا فقهيا على الأقل مرة في كل سنة، ولذا فإنَّ من حفظ مختصرًا ثم قرأ آخر ثبّت محفوظه لأن المضمون واحد ثبّت محفوظه من جهة، وزاد عليه بما في الكتاب الثاني.

الأمر الثاني يراجع الحفظ بالتَّعليم وبعض المشايخ الذي يُقرؤون القرآن إذا ختمت عنده القرآن اشترط عليك أن تُحفِّظ إثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ولا أدري ما

زال هذا الشيء موجودا أم لا لكن إلى عهد قريب كان موجودًا فإذا انتهيت من الحفظ على شيخ قال: «أريد منك شيئا تعاهدني أن تحفّظ اثنين»، ولذلك إذا علَّمت الناس ثبت العلم في نفسك، التّعليم يثبّت العلم، أقرأ النّاس القرآن في نفسك، أقرأ النّاس السنّة تثبت حفظها في نفسك، وفي صدرك وفي قلبك فالتّعليم من أعظم الأمور فإنّه زكاء العلم أي: نماؤه وزيادته وبقاءه في النّفس، الذي يكون ظننا بعلمه بخيلا به لا يبارك له في علمه وينساه، بعض النّاس إذا وجد الفائدة كأنّه هو الذي اخترعها، ولا يخبر أحد وكأنّها سُجّت باسمه ملكية فردية وهذا خطير بل كن كالشّافعي يقول: «وددت أن هذا العلم بثّ بين النّاس ولم يُنسب لي حرف».

۞ **الأمر الثالث**: المهم وهو المذاكرة احرص دائمًا على المذاكرة مع إخوانك كلّ مسألة تكتشفها جديدة فأنت ذاكر بها إخوانك ولا تُماري ولا تتكبّر عليهم انتبه الفرق بين الثلاثة جمل ذاكر تقول لإخوانك مرت عليّ المسألة الفلانية زملائك حتّى في العمل هنا في المكتبة أنا أشتغل هنا في المكتبة أنا وأنت هنا بالمكتبة قطعًا ستجد شخصًا فقل مرّت عليّ الفائدة الفلانية هذه المذاكرة تثبتها في ذهنك لكن لا تُماري المراء نص ابن مفلح في أصول الفقه على أنها حرام المراء الحرام منه هو: أن يتناظر اثنان بقصد أن يغلب أحدها الآخر إذا ناظرتك وبدأت [..] إلا غصب يكون قوله هو الصّواب هذا حرام أنا آثم والمماري حرام كلاهما المتماريان آثمان ولو كانت نيتك الوصول للحق، لكن إن كانت نيتهما الوصول للحق جاز وهذه واضحة يا شيخ وللأسف أن الكثير من الآخر طلبة العلم عند المذاكرة هي المماراة، يقول لك لا أدري أخذ أي مسألة الشرب قائما هو يرى أنّ الشرب قائم لا يجوز ويبدأ ويقول لا بد أنه لا يجوز والثّاني إلّا يجوز نقول هذه مُماراة لا تناقش صاحبك،

الثّالثة لا يكون قصدك الغلبة فإنّه ممنوع.

۞ **ومن الأمور المهمة**: الكتابة، احرُص على الكتابة والنّاس في الكتابة درجات فكتابتك في أول حياتك غير كتابتك عند التّمكن من العلم، أضرب لكم مثالا عندما تقرأ كتابًا وتسجل الفوائد أنا أقول سجّل الفوائد وخاصةً إن كنت في أول قراءتك هذا الكتاب **لأسباب:**

۞ **السبب الأول**: أن هذه الفوائد إذا سجلتها ثبتت، فالقراءة بالنّظر لنقل: تُبقي عشرة بالمئة منها فإذا كتبتها وصلت إلى ثلاثين بالمئة فإذا راجعتها صارت أكثر، فمجرد الكتابة باليد تثبت المعلومة.

۞ **ثانيا**: أنّها من باب الاستذكار لك بعدين فالكتاب أحيانا قد تريد الرجوع له أحيانا فتقرأ الفوائد فيعطيك عشرة أو عشرين أو خمسين بالمئة من فوائده وتبقى الفوائد الأخرى عن قراءته مرة أخرى.

۞ **الأمر الثالث**: هذا مهم أنّك إذا سجّلت فوائد كتاب ثم رجعت لها بعد عشر سنين تستطيع أن تعرف هل زدت علما أم لا فإن وجدت أن الفوائد التي كتبتها بعد عشر سنين كلها جديدة عليك. **إذن**: أنت لم تكتسب علما جديدا أنت مثل ما أنت قبل عشر سنوات في هذا الفن وفي هذا الكتاب، إن قراتها بعد عشر سنوات ووجدت أنّ هذه الفوائد بدأت تضحك كيف سجلت هذه الفوائد هذه موجودة عندي سهلة هذه كل النّاس يعرفونها اعلم أنّك قد استفدت علما، **معناها**: أنّ هذا العلم أصبح مُسلم الثبوت عندك.

إذن: هو بمثابة المقياس لك بعد عشر سنوات تعرف هل زادك علمك أم زالت على

حدّك الأول هنا يكون [..] فالتسجيل لها فوائد كثيرة جدًا.

إذن: احرص على الكتابة، الكتابة طبعا لها طرق ليست على الطّرة فقط بل على الطّرة في أوراق الآن جاءت البرامج يكتب ثم تفهرس مباشرة كل واحد له طريقة سيأتي يوم ستجد أن كتابتك باقية سـفيان الثّوري نقل عنه الذّهبي أنّه لمّا مات فكّوا منطقته الذي ربط بها وسـطه فوجدوا فيها جزءاً في الأحاديث يراجع فيها الأحاديث يكتبها فالكتابة هذه مهمّة احرص على الكتابة لا أقول تكتب لتطبع لا هذه مسألة أخرى أكتب لك أنت كل واحد من العلماء عنده كتاب يجمع فيه فوائده.

هذه المسـألة قلناها قبل قليل يكون لك كتاب في الفقه أو في الحديث كل فائدة تتعلق وجدتها جديدة أضـفها في هذا الكتاب، إذا احتجت لهذا الكتاب سـتجد أنه قد جمعت لك فوائد لو أردت جمعها ربّما جلست أشهرًا لكن جاءتك فقيدتها.

إذن: من الأمور المهمّة التقييد وهو مهم جدًا لكي لا تنسى، التّقييد مهم جدًا.

مُحاضرةٌ أُلقِيَت

يوم السبت الخامس عشر من شهر جمادى الأولى

سَنَةَ تِسعٍ وثلاثينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمائَةِ وَالأَلْفِ

بمكتبة المسجد الحرام

